لاجل مراقبته ايّانا في بعض الاسفار واما لاجل ارساله من قبلنا بقصادة خصوصيّة او لاجل مماطاته قضيّة خارجة عن حدود وكالته فيستطيع بسلطتنا ان يقبل ما يشاء من امور النيابة في الامور الروحيّة ممن يريده من الكهنة وفي الامور الزمنيّة ممن يختاره من العلمانيين كما لو يكون هذا التوكل صادرًا منّا وبسلطتنا نفسها من دون نقصان ويستعمل بوكالته هذه البطريركيّة عنّا جميع ما هو معطى لنا من انعامات مولانا الاعظم سعادة الشوكتلي السلطان محمود حفظهُ الله بحسبما يوجد مدوّنًا في براءتنا السلطانيّة الشريفة التي سلّمنا يد خوته نسختها يسلك بموجبها من دون ممارضة من احد حسب فحواها المنيف. واثباتًا لجميع ما تقدّم شرحهُ قد دفعنا بيد خوته هذا الصكّ القانوني مشعرًا بذلك. صح

أعطي من الديوان البطريركي في اليوم الخامس من شهر شباط

في مدينة مصر سنة ١٨٣٨

اللغة الارمنيّة

نظر لحضرة المنوري الفاضل دير نرسيس صانيان الارمني الكاثوليكي

انّ اللغة الارمنيّة احدى اللغات الشائعة في ولايات الممالك المحروسة وقد رخّصت الدولة العليّة بطبع كتب وانشاء جرائد في هذه اللغة . ومطابعها في الاستانة العليّة والقدس الشريف شهيرة ناجحة تحت ظلّ الذات الشاهانيّة حرسها الله وايّد شوكتها . فاحببنا ان نكتب لقرّاء بلادنا فصلًا في هذه اللغة وفي اصلها وتركيبها وما طرأ عليها من الطوارئ وحالتها في زماننا مستندين في ذلك الى آراء كبار علماء عهدنا الذين بحثوا في أصول اللغات وقابلوا بين ألسنة الامم ليبان اشتقاق بعضها من بعض

١ اصل اللغة الارمنيّة

اللغة الارمنيّة هي اللهجة التي كانت تنطق بها قديمًا بعض القبائل التي يرتقي عهدها الى القرن السادس قبل المسيح. اما موقع هذه الطوائف فكان في انحاء ارارط الجبليّة وفي جهات « وان » وعند ينابيع نهري دجلة والفرات. وكانت تُعرف باسم هاي (Hay) والجمع هايك (Haïk) وقد جاء هذا الاسم في الكتابات الفارسيّة القديمة

على صورة اخرى « ارمنة » او « ارمينة » ومثلهُ في الكتابات اليونانية ارمينيوس (Αρμένιος) وهو الاسم الذي شاع بعد ذلك

اللسان الارمني فرعٌ من طائفة اللغات السامية هندوجرمانية فانهُ قائم بذاته كاللغات الاخرى المشتقة مثلهُ من اصل واحد كاليونانية مثلاً والجرمانية . وهو مع ذلك منفردٌ بخواصهِ ليس لهُ بين اللغات الهندوجرمانيَّة لغة اخرى من جنسهِ كالصقليَّة مثلاً التي تناسبها اللغة البلتيكيَّة بل ليس لهُ لغة تشبههُ في التحوُّلات اللغويَّة التي طرأت عليهِ بكرور الدهور كما ترى بين اللغات الايطاليَّة القديمة واللغات الكلتيَّة . وما هو اغرب من ذلك انَّ هذا اللسان ظهر منذ نشأتهِ على صورة واحدة بدون لهجات خاصَّة . وان فحصتَ اللغة الارمنيَّة الشائعة اليوم لا تجد فيها اثرًا يدلُّ على انَّ اللغة كانت ذات شعاب متعدِّدة في القرن الخامس قبل المسيح . وان عهدتَ شيئاً على السنة القوم في ايامنا فتراهُ معروفاً مدوَّناً في اللغة الفصحى

هذا وليس لدينا دليلٌ يفيدنا علماً عن احوال اللغة الارمنيَّة مدَّة القرون الطويلة التي مرَّت عليها منذ نشأة اللغات الهندوجرمانيَّة الى زمن تدوينها بالكتابة . اما الكتابات السماريَّة التي وُجدت في جبال « وان » فانَّ لغتها لا توافق البتَّة اللغة الارمنيَّة . وقد زعم بعض كتبة اليونان انَّ قبائل الارمن مستعمراتٌ فريجيَّة وانَّ اصل الفريجيين من بلاد ثراقية . وفي بعض الآثار المكتشفة حديثاً ما يؤيد هذا الرأي الَّا انَّنا لا نعرف الَّا القليل عن لغة اهل فريجيَّة واهل ثراقية فلا يمكن ان نحكم عن اتفاق لغتهم مع اللغة الارمنيَّة

وفي هذه السنين الاخيرة سعى بعض المستشرقين بان يثبتوا وحدة لغة الحثيين واللغة الارمنيَّة . منهم العلَّامة جنسن الذي يستعين بالارمنيَّة ليفكَّ اسرار اللغة الحثيَّة المجهولة الى يومنا . ولا نجهل انَّ البعض لم يوافقوهُ على رأيهِ لكنَّهُ استمرَّ على قولهِ وواصل ابحاثهُ في بيان قضيَّته ووجد من الادلَّة ما يجعل رأيهُ جديرًا بالالتفات . وهو يزعم ان اسم الحثيين نفسهُ يُراد بهِ الارمن وذلك انَّ الحثيين يُدعَون بالآثار القديمة « هاتا » (١ وهي بمعنى « هاي » السابق ذكرها لانَّ التاء في اللغات الجرمانيَّة تُقلَب في الارمنيَّة

١) ان اسم الحثيين الاصلي ليس « هاتا » بالهاء ولكن بالحاء او الخاء « حاطي » او « خاطي » ومن ثمَّ لا يُعدّ هذا البرهان قاطعاً (المشرق)

باء كقولك مثلًا في لفظة pater, πατηρ فانها في الارمنيَّة ՀայրՀ (هايرْ) وكذلك في لفظة mater, μητηρ وفي الارمنيَّة ՄայրՄ (مايرْ) والعلماء يؤملون ان يثبت قريباً لديهم اشتقاق اللغة الارمنيَّة عن اللغة الحبشيَّة (١

وما يمهد الطريق للبحث عن خواصّ اللغة الارمنية أمران :

(الاوَّل) انَّ هذه اللغة لم تكن لغة السكَّان الاصليين وانَّما انتهم من الخارج بين القرن العاشر والسادس قبل المسيح فأثرت فيها بعض التأثير لغة هؤلاء السكَّان كما يظهر من عدَّة الفاظ ارمنية لا يُعرف اصلها حتَّى اليوم . والمرجَّح انَّ ما خُصَّت به الارمنية دون اللغات الهندوجرمانية انَّما اتاها من لهجة هؤلاء السكان . وممَّا لحظهُ العلماء انَّ الارمنية تشبه شبهًا عظيمًا في طرائقها اللفظية اللغات المعروفة بالقوقازيَّة . وكذلك توافق لغات القوقاز الجنوبية في فقدها لجنس الاسماء من مذكَّر ومؤنث بينما ترى فيها كما في اللغات الهندوجرمانية حروف الاعراب من مضاف ومضاف لهُ ومفعول بهِ . فيمكننا اذن القول بنفوذ لغة القطَّان الاقدمين باللغة الارمنية فأولتها بعض خواصها

(والامر الثاني) الذي يُقتضى ملاحظتهُ انَّ البلاد التي شاعت فيها اللغة الارمنية لم تزل في حكم دول مختلفة فأدخلها سياكسار في القرن السادس قبل المسيح في دولة الماديين ثمَّ صارت تحت سلطة امراء فرثيين ولذلك ترى عددًا عديدًا من الالفاظ الايرانية في معاجم اللغة الارمنية . ومن امعن النظر في هذه الالفاظ عرف تاريخها فانها ليست الفاظًا عجمية بل هي اقرب من البهلويَّة القديمة . ولكثرة هذه المفردات في اللغة الارمنية زعم البعض انَّها لهجة من اللهجات الايرانية . لكنَّ هذه الالفاظ لم تؤثر في تركيب اللغة وصرفها وقواعدها النحويَّة

لما ما يُرى في اللغة الارمنية من الالفاظ الساميَّة واليونانية فانها منقولة من الكتب الليتورجية وبعض الكتبة الكنسيين ومع وفرة عددها لا ترى لها تأثيرًا في هيئة اللغة الارمنية وخواصها

وممَّا ينبغي ان نلحظهُ بخصوص اللغة الارمنية انَّ مزاياها التي تنظمها في سلك اللغات الهندواوربية تظهر فيها حتى في القرون القريبة من عهدنا ومنها ما يدلُّ على عراقتها

---

(١) انَّ العلماء لم يوافقوا حتَّى الان جنسن في زعمهِ ولا برون براهينهُ مقنعة . وعلى كل حال انَّ القول بانَّ الارمنيَّة مشتقَّة من الحبشيَّة مبتسرٌ (المشرق)

في القدم . الّا انّ هذه المزايا ليست كافية بأن تعدها هيئتها الخاصّة بها وتفرزها عمّا سواها من لغات الهندواوربية فمن ذلك صورة مفرداتها وتنظيم اصواتها التي امتازت بها . ومنهُ ايضاً ائتلاف موازينها وحسن تركيب عبارتها . وما لا شبهة فيهِ انّ اللغة كانت بلغت درجةً من الكمال لما بُوشر بتدوينها بالكتابة وكانت جُرّدت من اكثر شذوذها

٢ في زمن اللغة الارمنيّة المدرسيّة

انّ اللغة الارمنية لم تُعرف الّا من عهد تنصُّر أهلها فهي بذلك كالارلنديّة والغوتية والصقلية التي ظهرت كتُبها عند انتشار الدين النصرانيّ بين اهلها اذ كان المرسلون يبشّرون بالمسيح في تلك اللغات ثمّ يضعون لها حروفاً لتدوين الكتب المقدّسة وترجمة الاسفار الدينية اليها

واوّل من كتب بالحروف الارمنية كاهن عالم ذو فضل وتُقى يُدعى مشتوتس (Mesrob) او مسروب (Mesrop) توصّل الى وضعها سنة ٤٠٦ بعد الميلاد . والمرجّح انّ مسروب بنى الجدّيّة على اللهجة المستعملة في سهول ارارط وكانت اصحّ من غيرها ويتكلّم بها وجوه الشعب وادباؤهم . وهذه اللهجة تمتاز بضبط قواعدها وتخيّر الفاظها وانسجام كلامها وسلاسة عبارتها ووضوح معانيها فضلاً عن غناها بالمفردات والمركّبات وهي قابلة للتعابير المزخرفة وللتشابيه اللّينة والمجازات الرائقة . والى هذه اللغة نُقلت الكتب المقدّسة وقسم كبير من اعمال آباء الكنيسة اليونانية والسريانية . ويعود الفضل الاكبر في ذلك الى نشاط القديس مسروب الذي لم يكفّ عن العمل مدّة نحو نصف قرن وشاركهُ في عملهِ القديس اسحاق البطريرك وتلامذتهما . وهذا العهد يُعدّ كالجيل الذهبي في تاريخ آداب اللغة الارمنية

وقد فقدت اللغة الارمنية بعد هؤلاء الكتبة شيئاً من رونقها الاوّل واخذت اليونانية تدخل في تراكيبها . وتفوز هذه اللغة ظاهر في التآليف الارمنية منذ اواخر القرن الخامس وتولّدت من هذا الاختلاط لغة جديدة اصطناعية لا وحدة فيها ولا ائتلاف تسرّبت اليها تعابير العامّة وغلب عليها الفساد والتحريف فانتشرت في القرون التالية . واذا قابلت بين هذه اللغة المستحدثة واللغة المسروبية وجدت بينهما بوناً شاسعاً

وبقيت اللغة الاصلية منزوية في المدارس والاديرة يُعنى بدرسها العلماء والرهبان الى القرن الرابع عشر ففي ذلك العهد أُصيبت لغة مسروب بضربة لازبة اذ جعل

الكتبة مثالًا لهم اللغة اللاتينية فاخذوا ينسجون على منوالها وينهجون مناهجها فاضحت اللغة المدرسية بذلك غريبة التراكيب سخيفة العبارة وشاعت هذه اللغة المستحدثة بين الكتّاب الى اواخر القرن السابع عشر

ففي ذلك العهد نشأت الرهبانية المكيتاريّة (راجع المشرق ٥ : ٣٢–٤١) ونمت ثمّ تشعّبت الى قسمين سكن احدهما ڤينّة عاصمة النمسة واستوطن الاخر مدينة البندقية . فاخذ الفرع البندقيّ يسعى في تحسين اللغة وتثقيف عوجها واصلاح خللها وارتأوا انّ احسن طريقةٍ لذلك الرجوع الى تآليف كتبة الارمن في القرون الثانية الاولى دون تمييز بين طور اللغة الاوّل في عهد مسروب وتلامذته وبين الطور الثاني من بعدهم فنالوا بذلك بعض النجاح

غير انّ الذين استحقّوا شكر كتبة الارمن في اعادة اللغة الى بهائها الاوّل راهبان فاضلان من فرع المكيتاريين النمسويين . وهما الاب يوسف قاطرجيان المتوفّى سنة ١٨٨٢ والاب متّيا كاراكاشيان المتوفى سنة ١٩٠٣ فانهما منذ دخولها في الرهبانية المكيتاريّة ادركا بحسن ذوقهما ما بين اللغة المسروبية الاصلية واللغة التالية من الفرق فعزما على الرجوع الى اللغة الاولى لما حازتهُ من الخواصّ اللغويّة الفريدة فجعلا يصرفان جلّ طاقتهما في احياء تلك اللغة فحذا حذوهما اخوتهما الرهبان المكيتاريون في ڤينّة وقد خالفهما في هذا الرأي المكيتاريُّون البندقيُّون وكثيرٌ من كتبة العصر ومن دارسي الارمنية لاسباب يطول هنا نشرحها

٣ حالة اللغة الارمنيّة حاضرًا

. ينتج ممّا سبق انّ للُّغة الارمنية الفصحى في عهدنا طريقتين . وهذه اللغة باقيةٌ حتى الآن في الكتب الطقسية لا يكاد يُستعمل غيرها . وهي مع ذلك مُماتةٌ لا يتكلّم بها احدٌ حاضرًا لا بل أبطل استعمالها منذ قرون عديدة . والمقرّر انّ لغة العامّة كانت تختلف عنها في القرن الخامس . وهذه اللغة العامية الدارجة لم تزل في تقلُّب وتغيير مع توالي الازمنة واختلاف الامكنة . وذلك الى النصف الاوّل من القرن التاسع عشر فشعر الكتبة بحاجتهم الى لغة حديثة فصيحة يتّخذونها كدستور لكتاباتهم . وقد سبق الى ذلك كتبة الارمن في الممالك المحروسة فانشأوا كتبًا وجرائد ومجلّات علمية في هذه اللغة التي يصحّ ان تسمّى بلغة الجرائد . وللارمن الذين في الدولة الروسية لغة كتابية

أخرى تختلف شيئاً عن لغة الارمن في البلاد التركية وتُدعى اللغة الشائعة في الممالك الشاهانية باللغة الارمنية الشرقية ومركزها في الاستانة العلية واللغة الشائعة في روسية تدعى بالغربية ومركزها تفليس ولألمات الاوربية نفوذ كبير في كلتيهما . اما العامّة فانهم ينطقون بلغتهم الدارجة ولكل فريق منهم لهجة خاصّة

هذا نظرٌ موجز في تاريخ اللغة الارمنية التي اقبل في عهدنا كثيرٌ من المستشرقين على درس خواصّها . وقد وُجد بين الاوربيين قومٌ اتقنوها منذ القرن الرابع عشر الّا انّ علماء زماننا قد فاقوا سلفاءهم في ذلك وتالوا قصبة السبق عليهم نخصُّ منهم بالذكر الفرنسويين دولوريه وكاريار ومولّه . والالمانيين ف . مولّر وبروغمان وكوبشمان وبيدرسن . والانكليزيين كونيار وروبنصون وثيبر وغيرهم كثيرين اشتهروا بتآليفهم في اللغة الارمنية

ويا ليت مثل هؤلاء الاجانب يحمل ابناء طائفتنا الكاثوليكية في الشام ومصر والعراق وما بين النهرين على إحكام درس هذه اللغة الجليلة التي تُعدّ من اجمل اللغات واغناها فضلاً عن كونها رقيقة لَيِّنة تُطرب السمع بنغماتها الشبيهة على قول احد المستشرقين بتغريد الطيور

مطبوعات شرقية جديدة

HARDER. **Arabische Konversations-Grammatik.** *Heidelberg. Groos*, 1898, 8°, 476 S. (Méthode Gaspey - Otto-Sauer)

غراماطيق المكالمة العربية

ليس هذا الكتاب لتعليم اللغة العامية كما يلوح من اسمه وانّما غايتهُ ترويض الدارسين الاوربيين على اللغة الفصحى الحديثة كما هي جارية بين أدباء العصر مع ما فيها من الاصطلاحات المستحدثة والمعاني الجديدة والتعبيرات المألوفة التي لم تخطر على بال قدماء العرب وكتبهم البلغاء . وتأليف المسيو هَرْدر اتمّ واكمل ما وُضع على هذا النمط وهو يقسم كتابهُ الى فصول يفتتح كل فصل منها ببعض القواعد اللغويّة متوخّيًا ما هو أنسب لغايتهِ ثم يتبعها بجدول بعض المفردات يليها مقاطيع ألمانيّة وعربيّة لينقلها